

ناصر قنديل

حديث الجمعة هذا الأسبوع بدأه بأحلى الصباحات المنصهرة بصباح واحد للرئيس الروسي فلاديمير بوتين، القيصر المقاتل، وأضع الخطوط الحمراء أمام أميركا وأحلامها وأوهامها. ثم يأتي المختصر المفيد بمقال نُشر في «الشروق» التونسية منذ عشر سنوات حول التحديّات التي كان يواجهها العدو الصهيوني، فيكون المقال خير نافع يوم تنفغ الذكرى. أما الختام فمع مسك المشاركات وأقلامٍ اعتدنا رونقها.

صباح مكرّر أيّها القيصر

صباح يختصر الصباحات المتفرّقة، كُتِب في يوم من الأيام المشهودة، يوم كانت الأساطيل تغزو مياهانا إيذانا بالحرب القادمة، ووقف القيصر وقفة التاريخ والجغرافيا والرجولة. وهو يعيدها اليوم بوجه صاحب وهم السلطنة مهبطاً بإرسال السلطان إلى جهنم إن عادت أوامه المعهودة.

صباح الخير لقيصر العالم الجديد وقد أسقط من قلبه القيصر وتمسك بلقب المقاتل.

صباح الخير

صباح الخير للمقاتل الذي ولّى معه زمن الانتداب والقناصل

صباح الخير لمن عرف معنى سقوط الإمبراطوريات واستعدّ لكتاب الحرب وللسلم أعدّ الحروف والنقاط والفواصل

صباح الخير لقيصر العالم الجديد وقد أسقط من قلبه القيصر وتمسك بلقب المقاتل المقاتل الذي خرج وحيدا قبل ربع قرن من أمام السفارة السوفياتية في برلين يحمل الراشاش ويخلع قميصه ويسدّد ويقول: انتهي وقتي اللعب أنتم تواجوهن المقاتل فلاديمير بوتين هو نفسه الطالب المتفوّق الذي قصد مقرّ «كي جي بي» قبل أربعين سنة يريد الانضمام كان طالبا يافعاً والتقى ضابط الوحدات الخاصة الذي طالبه بالتسجيل بالجامعة ومواصلة السير إلى الامام

قائلا: لا يضمّ سلكنا طلاباً فاشلين، فكُلّمّا تفوقت في المزيد من العلوم صرت إلينا أقرب وكلّمّا اتقنت العلوم والفنون تترقى من دون أن تتعب

وكلّمّا زُرُفت عُرقاً وقرت دمك من التزيّف فلا تتعذّب

كان الزعيم أندريوف ذلك الضابط والتقى بعد سبع سنين

في بدايات ثمانينيات القرن العشرين

واكتشف أنه لم ينسه كل هذه السنين

وأن أمة تعرف طلابها وتعرف شبابها وتتابع مع التاريخ حسابها لا بدّ أن تجد رجالاً يتابعون المسيرة تعلم الجودو والسباحة في الجليد ومصارعّة اللدبة والغيران والقض من بعيد

وتعلم ركوب الدبابات والطائرات وأصول التنصّت وسبر القضاء

وأتقن الرياضيات والسياسة والاستخبارات

وبرع في الشطرنج وركوب الحصان وكتابة الشعر والمغامرات
ويقي المقاتل فلاديمير بوتين

مرّت عليه مياه يلتسمن الباردة وانتبه لكل شاردة وواردة

فوصل سريعا إلى رئاسة الحكومة وصار المقاتل بحطى وأعدة

في عقله مشروع أمة صاعدة

وصار الرئيس بوتين وصارت روسيا تضرب بيدها على الطاولة

وتجدد السعي وتعيد المحاولة

أدرك المقاتل أنّ الزمن قد حان لرحيل الإمبراطورية المريضة

فوضع الخريطة الجديدة

ووسّع تحت اسم سورية وإيران والصين الخطوط العريضة

حلف العالم الجديد

موطن النفط والغاز والحديد والمياه الدافئة والتاريخ والحضارة والترابط بين أطراف المعمورة

وفيها مقاتلون أشداء يعرفون معنى أن تستردّ أهمهم مكانتها في الصورة

إنها إمبراطوريات العالم القديم من أمة يعرب ومحمد إلى بلاد كسرى وكونفوشيوس وختامها حكم القياصرة

لآلاف السنين تدور حولهم حكايات العالم وحولهم تدور الحروب وتتناوب الشعوب ومنهم تتكون الذاكرة إيران قلب الفريق في وسط الملعب تصدّ الهجمات وتوزع الطاباط والصين حارس الرمي الأمين في بكين وسورية تتولّى جهة اليمين حيث الهجوم وتعطيل الهجوم وموسكو تغذي بمصادر القوّة وعليها الميسرة كان النهار في عمر الإمبراطور الأميركي يميل إلى المغرب والكاويوي يشتاق لإشهار المسدّس في المدى القريب أميركا لا تتفخّر

طالما تتوق لسيرة رامبو وعنتر وتنسى تاريخ الهزائم

ولو جاءها رئيس مسالم

الرئاسة تتكلّف بجعله مجنون حرب

بمقتض بن شداد أو الزير سالم

دنت الساعة ودفّت

وبدا أنّ المواجهة قد اقتربت

وأنّ حسابات أوباما على الأوهام والأحلام لا تزال تعيش

يرسل لروسيا رشوة وإيران البخشيش

لن نمنّ بكم فلا تتدخلوا

هي ضريبة رادعة وسفنتنا «رايحة وراجة»

فلا تتدخلوا لا يصيبكم مكروه

وإن سئلتم من سورية فتصلوا

ولدينا غطاء الجامعة وصواريخنا لن تتوه

ولن تطول الغارات ستحقّق أهدافها من الساعة الثانية حتى الساعة

كان بندر يحمل البريد ويوتين يسال عن المزيد ولا يجيب

يهزّ برأسه استطرادا في الكلام

ويلقي عليه السلام ولتلقى عمّا قريب

وأرسل صائد الدببة الشنوية لإيران وسورية والصين تفاصيل الخطة

وكيف يجب تحويل أوباما إلى بطة

كيف سنهلّ له انزلاقات الجليد

وكيف نراقبه من بعيد

يركب موجة التصعيد

وعندئذٍ فقط نبدأ بالنطق

وتعيد وكلّمّا أعدنا نزيد

ونشغل الردرات ونجّهز المطارات والطائرات والسفن والصواريخ والمقاتلين

وعند الإشارة الأولى لتلقتق

نعلن التفخّر

أول صاروخ سقط

والثاني يستدير

نعلن فنصيب الثاني سقط

نعلن الخبر

في الشام استنفار والجهوز تجاوز المراتب وأسد هادي في العرين

وفي جنوب لبنان رأي سيد حظنا الصائب وصانع النصر المبين

وفي إيران تشغل الطوربيدات وتغلي مياه الخليج وتمتلئ المياه بالبحارة الاستشهاديين

ومن يكين يصدر الموقف

لن تتفرّج إذا وقعت الحرب دولة الصين

هي مليار ونصف غاضبون وترسانة النار والتنين

وفي روسيا جليد وأمطار وعواصف وجبال ومدن ومدن التنصت وقرار حرب

وتطلق الصفارة

أوباما اسمع جيّداً الضريبة ستصير حرباً فأحذر من أوّل غارة

المقاتل فلاديمير بوتين بعينه الزرقاوين صارت عيناه مفتوحة وسع البحر المتوسط والمياه المالحة ومياه أوباما للشرب لم تعد صالحة والطريق مفتوحة فقط للمصالحة

إليك وصفة الكيماوي للتراجع وقد استعدّتنا للحرب ونصبنا المدافع

تذهب وتودك إلى نيويورك تلاقى روحاني

وتتلقى هناك بالصلح التهاني

هنا المقاتل بوتين

انتهى البيان

صباح الخير للمقاتل الذي توجّه الشعوب قيصراً

لأمة يعرف التاريخ تاريخها

وتحكي البلاد عنها بلدا بلدا

صباح الخير لبوتين في برج الأسد

صباح الخير لموقعة الأسد

عالم جديد من وقفة القيصر وزمجرة الأسد قد ولد

صباح الخير لولد الولد!

البناء

5 حديث الجمعة



ذكَر إن تنفغ الذكرى بالمختصر المفيد

سيناريوات الحرب المقبلة في الشرق الأوسط واحتمالاتها

قبل خمس سنوات تماماً، وقيل أن تظهر أيّ بوادر لما سَمّي «الربيع العربي»، وفي تونس تحديداً، نُشرَتْ هذا المقال في صحيفة «الشروق» التونسية، ولأنه يعبر بالمختصر المفيد عمّا رأيته قادما إلى منطقتنا، ولأننا عشناه بتفاصيله خلال هذه السنوات، أعيد نشره من باب ذكر إن تنفغ الذكرى.

فرضية الحرب الخاطفة والحاسمة مع انتشار تكنولوجيا الصواريخ، وثالثاً تراجع منطق التفاوض بسبب عجزه عن تحقيق إنجازات مع إثبات المقاومة قدرتها على مواجهة «إسرائيل». والخطوات الدراماتيكية حسب التقرير الرسمي الأميركي، تتمثل في سلام نهائي وشامل يمكن أن تقلب به القوى العربية الفاعلة بما فيها قوى المقاومة، وما يعنيه ذلك من العودة إلى نصوص وثيقة بايكر هاملتون الصادرة عن الحزبين الديمقراطي والجمهوري نهاية عام 2006، وما تضمنته من دعوة إلى قيام دولة فلسطينية عاصمتها القدس الشرقية، وحل قضية اللاجئين وفقاً للقرار 194، وعودة الأراضي اللبنانية والسورية المحتلة، والتسليم بدور سوري متنام في لبنان والعراق، ودور إيراني في ملفات العراق وأفغانستان والطاقة وأمن الخليج بعد الاعتراف بإيران دولة نووية.

تدرك واشنطن قساوة الخيار الدراماتيكي كما ترفضه «تل أبيب»، ويجري التعاون على صناعة سيناريوات الكلفة الأخف، وتبدو الحرب المحدودة خيارا مرغوبا من الشريكين الأميركي و«الإسرائيلي» تحت ضغط روزنامة الانسحاب الأميركي من العراق، وهو انسحاب مهما قيل عن كونه شكلياً، وتبقى اليد الأميركية فاعلة في مستقبل العراق، سيطلق تداعيات لعلاقة عراقية أقوى مع الجارين السوري والإيراني.

تخشى «إسرائيل» تحوّل الربيع السوري - التركي - الإيراني - العراقي بحالفه مع قوى المقاومة إلى قوة صاعدة، لا يمكن إيقافها بعد الانسحاب الأميركي من العراق. وهو مربع يتعدى تحديّات مرحلة جمال عبد الناصر الذي تمكّنت «إسرائيل» من مواجهته بالتعاون مع إيران وتركيا آنذاك، كما يتعدّى تحديّات المفاهيم السوري - المصري - السعودي الذي خاض غمار حرب تشرين 1973 والذي لا تقارن إمكانياته بالحلف الجديد.

ضرورة التصرف بسرعة شعار الأنشؤ المقلّبة في «تل أبيب» وواشنطن. ومع استبعاد الفرضية السياسية الكبرى لصفقة شاملة مكلفة أو مؤلمة كما يسمونها، تصبح ضرورة الحرب في من يبحث عن سيناريوات، والحرب المقبلة تتناوب احتمالاتها بين سيناريوات الحرب المحدودة على واحد من تحديّات الجوار السورية أو إيران أو «حزب الله» أو حركة حماس، وقد بات ثابتا للقيادة «الإسرائيلية» أن خطر تحول أي من هذه الحروب المحدودة إلى حرب شاملة أكبر من القدرة على التحكم بساحتها وجهما، ومنع الحريق الكبير من الاشتعال.

سنة حاسمة وحارّة في آن، والمنطقة تختبر واحدة من أدقّ لحظات تاريخها المعاصر، بما يدفع محطّلين كثيرين إلى الحديث عن أمر ما لا بدّ أن يخلف «سايكس بيكو» التي رسمت جغرافيا ما بعد الحربين العالميتين، ليحل مكانها أحد شكلين جديدين، اتحاد الكثير ممّا قسمته «سايكس بيكو» على طريق صناعة الاستقرار، ولو يصبغ صبغية لا تعني الوحدة الكاملة كصعود المربع السوري - التركي - الإيراني - العراقي، أو تقسيم المقسم وولادة كيانات ودويلات تندز بحروب أهلية تنهك المنطقة وتخلق نظائر وعصبيات تجعل الاستقرار بعيدا.

أشجار التفاح لن تطرح الحنظل

يحكى أن شخصاً كان يقف على ضفة نهر يمر من فوقه جسر قديم. وفتاةٌ، سمع صراخاً، ورأى امرأةً يسحبها التيار. فلم يتردّد، وقفز إليها وانقذها. ثم ما لبث أن سمع صرخات أناس آخرين، فذهب ليلقّهم. وبدأ الرجل يشعر بالإرهاك بعدما أنقذ الضحية تلو الأخرى، غير أن الصرخات كانت ما زالت تتوالى، ولم يستطع الرجل أن يقوم بعملية إنقاذ أخرى. وحين نظر إلى مكان سقوط الناس، اكتشف وجود فتحة لا يراها المارة فوق الجسر. فيسقطون فيها من دون انتباه.

شعر الرجل بالغباء، فلو صرف بعض وقته في التفكير، لذهب إلى حيث الفتحة، وحذّر الناس منها، ولاستطاع أن يوفّر الجهد في معالجة السبب لا للتجنّب. بكل بساطة، لا يفيد قتل العوض إن لم نعمل على تجفيف المستنقعات. وإن نستفيد من قتل كلّ المتطرفين الذين يعيشون اليوم في أرضنا فساداً ونجاسة، إن لم نستاصل البيئة التي تحضن هذا الفكر، وتجعله يكبر ويقوى فينتشر.

المشكلة ليست في شيوخ الدم والفتنة الذين يتعمقون فوق المنابر ويقفون بالقتل والذبح والاعتصاب، ويطالبون باحتلال سورية. نعم، ليست المشكلة في القرصاوي ذلك الخرف، ولا بالرعورع الموتور، ولا بالعريفي ولا بكل العاهات التي ظهرت تحلّ سفك الدم السوري وتطلب المزيد من الإضاحي لترضي آسبابها. إنما المشكلة الحقيقية في القطعان المستتارة التي تتبعهم بلا تفكير، وتنفذ من دون تردّد أو تدبير، مهما كانت تلك الفتاوى شاذة أو وحشية. المشكلة في تلك العقول التي أوقفها أصحابها عن العمل، واستبدلوها بغريزة لا تستجيب إلا حين تسمع: «حيّ على النكاح». المشكلة في الأيادي التي كسرت كل الأقالم وقبضت على السكين كتخب فيه على أجساد الضحايا تاريخاً مدموياً هو الأكثر وحشية حتى الآن.

هذا الانقياد الأعمى لم يكن ليحصل لو كانت لدى هؤلاء المناعة الكافية لمقاومة هذه الأوبئة. وهذه المناعة لا يمكن اكتسابها بين يوم وليلة، إنما هي حصيلة عمل متواصل على النفس البشرية، يبدأ منذ الطفولة ولا ينتهي أبداً. فالطفل الصغير كالوعاء الفارغ المستعد لتلقي ما تضعه فيه. والوعاء ينضج بما فيه، وأشجار التفاح لن تطرح الحنظل، وذياب الزمابل لن يصنع العسل، لذلك من الضروري إعادة بناء كاملة، واجتراح تغيير جذري في ما يخص العملية التربوية والتشتمّة الاجتماعية، والتخلي عن الأساليب البدائية التي رأينا نتائجها اليوم. وهذا طريق طويل وشائك.

ما حصل في سورية أثر على أقوى النفوس بشكل سلبي، فكيف باطفالنا الذين عاشوا هذه المرحلة، وأروا ما لم نستطع نحن أن نصدقه من شرور ومويقات، وشاهدوا كل ذلك الإجرام وهم عزّل لا يملكون إلا القليل من خبرة في الحياة، لا تسمح لهم بالتصدي لكل ما يعيشونه.

فلنجف مستنقعات التخلف والتطرّف بدأ بيد، فسورية اليوم تحتاج إلى كلّ عقل وكلّ قلم مع رصاص جيشنا المقدّس. هم يحاربون على الأرض نتائج الوباء، وكل واحد فينا عليه أن يساعد في محاربة أسبابه. فلنحارب كل صوت ناعق يدعو إلى، وكل شيخ ماجن يدعو إلى اغتصابنا، وكل فكر فاسق يهدف إلى تدمير عقولنا، لكي تعود سورية جيّنة الدنيا وأرض النور الذي لا يضمحل.

صباح القابضين على الزناد... صباح الساهرين على سلامنا... صباح من جعلوا من أنفسهم جسراً لنجبر إلى النضر... صباح الجيش السوري المقدام.

وفاء حسن

أسير لن يستقبل

قالت له: أستطيع ألاحتاجك في عمري أبداً. ولكنني لاأريد. آقف محمّلةً بارق المعاني على ناصية الكلمة، ولاأجدها. أحلم بدفء فتحرقني برودة تاتي منك كعاصفةً للجنة. تفرّقت البدان. جفّ ألق العيين. وصرنا على حدّي يقبض. نرّبي الحبّ مثلما نرّبي الأشياء. نصّخي بانفسنا ليحيا. وعند الصوحة يتركنا على قارعة طريق. أيهما أكثر حرارة الشمس أو النجمة؟ أيهما أبقى، الكلمة أو المعنى؟ لم توفقت عن الغناء البلابل: وصارت مشاعرنا مقيّدة بالسلاسل؟ كيف سمحنا لمعين كخفق الفؤاد لا ينضب أن لؤلؤه تفاصيل الحياة اليومية؟

كنت أريد أن ينقى ظليّن على جدار الشغف يتراقصان، ليعبان، يركضان. ويعفود من ياسمين يتزيّنان. ما زلت أريد لك لقاء مفعما بالامعقول، وأريد كثيراً من العطور. تنعّس فيه أنوار السماء متألّثة ذهبية، قرمزية، فضية. يسكرنا الماضي المتجدّد في الحاضر، فنحن إلى الزمن الجميل. أستطيع ألاأحتاجك في عمري. لكنّي لاأقوى على ذلك.

لاأذهب... أرجع، عدإلى عبادك. فكّل ما فيّ ينهمر شوقاً إليك. ومن الأعماق تناديك الروح.

قال لها: ومتى غادرتك حتى أعود؟ يا منتهى السعادة أنا أسيرك إلى أن يفنى الوجود.

رانيا الصوص

نور الهدى قاسم